عودة العقل العلمي العربي

محمد عارف

2016-10-05

"رشدي راشد.. تكوين العقل العلمي العربي" عنوان بحثي المنشور في العدد الأخير من مجلة «المستقبل العربي» الصادرة في بيروت. وكأينشتاين الذي كان يقول: «إنه لأمر غريب أنني لم أكتب سوى مؤلفات غير مشهورة سأصبح شخصاً بهذه الشهرة»، لم يخطر بالبال أن أعمال راشد في تاريخ العلوم العربية ستتنافس حولها الجوائز وأوسمة التكريم العربية والعالمية، وبينها أعلى وسام فرنسي «وسام جوقة الشرف»، وميدالية اليونسكو الذهبية «ابن سينا»، و«جائزة الملك فيصل العالمية للعلوم» المعادلة لـ«نوبل»، و«جائزة الكويت للتقدم العلمي»، وفي مبادرة غير مسبوقة مُنح هذا العام مرة واحدة جائزتي «الشيخ زايد للكتاب» و«العويس الثقافية» عام 2016.

الأوسمة الرفيعة كعلوم راشد نفسه وقفة على ساحل المحيط العظيم لتأريخ العلوم والفلسفة العربية الإسلامية. والوقفة «بإيجاز شديد كل ما نعرفه عن التراث العلمي العربي اليوم»، حسب راشد، الذي ألّف بالفرنسية 60 كتاباً عن تاريخ علوم الرياضيات والفلسفة، نحو عشرة منها مترجمة للعربية، بينها «علم الهندسة والمناظر في القرن الرابع الهجري»، و«تاريخ الرياضيات العربية بين الجبر والحساب»، و«رياضيات الخوارزمي»، و«موسوعة تاريخ العلوم العربية» بثلاثة مجلدات، أشرف عليها راشد، وصدرت بعشر لغات.

وراشد الذي درس الرياضيات والفلسفة في جامعة المنصورة بالقاهرة لم يكن معنياً بتاريخ العلوم العربية، وكانت أطروحته للدكتوراه في فرنسا «ترييض النظريات اللاشكلية» تبحث تطبيق الرياضيات في مجالات يصعب تطبيقها فيها، كالعلوم الإنسانية والاجتماعية، وتُرّكزُ على حساب الاحتمالات والميكانيكا، التي ألّف كتابين فيهما، ولم يكن للجزء العربي علاقة بالموضوع. ولم يذهب راشد إلى تاريخ العلوم والفلسفة العربية هرباً من الحاضر العربي، بل هرباً إليه. «كارثة هزيمة 1967 أمام إسرائيل أصابتني صدمة، لا أعرف إن كنت تخلصت من آثارها حتى الآن، ولكنني أدركت أن ما لدينا من نظام لا يلد سوى تلك الهزيمة، وكان قراري البحث في التراث العربي العلمي، والعقلي الذي بني على مدار 4 قرون، لأبني حضارة جديدة نستند عليها كعرب في حاضرنا، لأنني أيقنت أن النكسة كانت هزيمة حضارية لا عسكرية.

ولا يمكن الحديث عما يحلو للبعض تسميته بـ«العقل العربي» بدون معرفة متمحصة ودقيقة بالتراث العلمي. فعندئذٍ سنعرف أن هناك «عقولاً» أو على الأصح «عقلانيات» تتابعت وتعددت خلال بحث جاد ومجدد دام عدة قرون على أيدي فحول من علماء وفلاسفة الإنسانية، ألفوا كتبهم وأبحاثهم بالعربية وعاشوا وعلموا في المدينة الإسلامية. «فلا يمكن بحال فهم ما أتى به الكندي بدون معرفة ما ألفه في علم المناظر الهندسية والرياضيات، ولا نستطيع إدراك ما قام به الفارابي بدون معرفة ما كان عليه علم الجبر في عصره، وكذلك حال الفلاسفة الآخرين، مثل ابن سينا وابن رشد وغيرهما. وعلينا أن لا نفصل بين نقل الأصول وتجديدها، فلا يمكن القول إن هناك ثلاث مراحل: الترجمة ثم التمثل ثم الإبداع. فالإبداع بدأ قبل الترجمة ومع الترجمة وأثناء الترجمة وبعد الترجمة. ولا يمكن فهم نقل الأصول العلمية من رياضية وغيرها، وكذلك الأصول الفلسفية بدون الأخذ بالاعتبار ما تم في العلوم الإنسانية، من كلام وفقه وتفسير وتاريخ.

ولا يقتصر تكوين العقل العلمي العربي على العلماء، وطالبي العلم. مثال ذلك يقدمه راشد في حلاق من حكايات «ألف ليلة وليلة» يقول: "ستجدني أحسن حلاق في بغداد، مجرّب، وصيدلي عميق ومنجّم لا يخطئ، ضليع في النحو والبلاغة، ومؤهل في علوم الرياضة في الهندسة والحساب وكل مسائل الجبر، في التاريخ أعرف الممالك في العالم، بالإضافة إلى ذلك أعرف جميع أبواب الفلسفة وأحفظ في ذاكرتي كل القوانين والتقاليد، وأنا أيضاً شاعر ومهندس!".

المرجع:

- "رشدي راشد.. تكوين العقل العلمي العربي"، مجلة المستقبل العربي، عدد أيلول/ سبتمبر 2016
- المصدر: www.alittihad.ae/wajhatdetails.php?id=91121

تواصل مع الكاتب: maref21@yahoo.co.uk

الآراء الواردة في هذا المقال هي آراء المؤلفين وليست، بالضرورة، آراء منظمة المجتمع العلمي العربي

يسعدنا أن تشاركونا أرائكم وتعليقاتكم حول هذهِ المقالة عبر التعليقات المباشرة بالأسفل أو عبر وسائل التواصل الإجتماعي الخاصة بالمنظمة

src= src= src= src= src= src=